م.ت.ف. والعملية السياسية

Mishal, Shaul; *The PLO under Arafat: Between Gun and Olive Branch,* New Haven: Yale University Press, 1986, 190 Pages.

«ان السمة البارزة بين كافة جوانب العملية السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية هي تلك المفارقة بين نجاحات المنظمة الدبلوماسية وبين اخفاقها في ترجمة تلك الانجازات الى مكاسب جغرافية».

بهذه الكلمات يفتتح شاؤول ميشال دراسته الشيقة لسيرة النضال الفلسطيني المعاصر بقيادة م.ت.ف. ورئاسة ياسر عرفات لها. وميشال يعمل محاضراً في دائرة العلوم السياسية في جامعة تل ـ ابيب، وقد سبق ان ألّف كتاباً تناول فيه العلاقة الفلسطينية ـ الاردنية، من خلال دراسته لعلاقة الضفتين، الشرقية والغربية، ببعضهما، في ظل الحكم الهاشمي، ١٩٤٩ ـ ١٩٦٧. وجدير بالذكر ان حقيقة انتماء ميشال الاسرائيلي لا تمنعه من إظهار تأييد، أو على الاقل تفهم، للفلسطينيين في تعاملهم مع الحكومة الاردنية، وأيضاً لمنظمة التحرير وقيادتها الاساسية في معتركها السياسي الصعب.

ينطلق المؤلف من فرضية أن هناك اخفاقاً فلسطينياً وأنه بوسع م.ت.ف. ان تتسلم المبادرة وتقلب الموازين من خلال تبنّي سياسة واضحة وصارمة حيال التفاوض مع اسرائيل والاعتراف بها، وهي فرضية مبسَّطة وساذجة الى حد بعيد، وخاصة انها تتوقع انقلاب الآراء الداخلية الاسرائيلية كنتيجة للشجاعة الدبلوماسية الفلسطينية. لكن هذه الفرضية لا تعني ان المؤلف يرفع لواء العداء أو التشكيك بالمنظمة، أو انه لا يرى دوافع قوية للتردد الفلسطيني. يشير ميشال الى مسائل عدة لاظهار مدى نجاح م.ت.ف. منذ ١٩٦٧، فيؤكد تمتعها بتأييد متزايد لدى دول المنطقة العربية، والعالم، حتى باتت هذه الاخيرة تنظر اليها كدولة «جنينية». وقد انعكس ذلك في قيام م.ت.ف. بفتح سفاراتها في أنحاء العالم (زاد عددها على السفارات الاسرائيلية !)، وفي اكتسابها الاعتراف بشرعيتها السياسية داخل النظام الاقليمي العربي. ويعلّق ميشال، تعليقاً جوهرياً، على هذا الانجاز، اذ يعتبره «بلا سابقة في التاريخ السياسي الفلسطيني». فقد نجحت م.ت.ف. (ومن ضمنها التنظيمات الفدائية المكوِّنة لحركة المقاومة)، أولاً، في تمييز القضية الفلسطينية عن مجمل الخطاب العربي، وتحويلها، بالتالي، الى نقطة التقاء وتعبئة الفلسطينيين المشتتين؛ وثانياً، نجحت م.ت.ف. خلال العقدين المنصرمين، في وضع القضية الفلسطينية في مقدم اهتمامات الشرق الاوسط والعالم؛ والاهم من ذلك، انها وسَّعت دائرة الاقتناع بأن أي حل سلمي ناجع لنزاع الشرق الاوسط لن يأتي دون ضمان حل المعضلة الفلسطينية.

غير ان المؤلف يطرح، ازاء هذا السجل الهام، أن م.ت.ف. «لم تستفد، عملياً، من انجازاتها، إذ أنها عجزت عن التقدم، سياسياً، أو عسكرياً، نحو تسوية تلبي حداً أدنى فحسب من الطموحات الفلسطينية؛ اذ لم تقم، بعد، الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة والكيان». صحيح ان القارىء يمكن ان يرد بأن الكفاح ما زال في منتصف الطريق وأن المعايير التي يلجأ اليها ميشال لقياس الفشل والنجاح ليست صحيحة أو كافية، إلا ان المأزق الفلسطيني لن يختفي بذلك؛ اذ صعب على قيادة م.ت.ف. ان تضمن فاعليتها وبقاءها، من جهة، وأن تدعم صيغة تؤدي الى الاعتراف باسرائيل وانهاء النضال المسلح والمساومة الجغرافية، من جهة اخرى، في آن، لأن هذه القيادة تعمل في ظل قيدين: أولهما حقيقة كون م.ت.ف. إطاراً عريضاً فضفاضاً يحتوي على العديد من الفئات المتنافسة؛ والثاني امكان ألا تستجيب اسرائيل وحليفها الولايات المتحدة للتنازلات الفلسطينية، مما